إعراب القرآن الكريم

أهميته وأثره في التفسير

إعداد

أحمد بن ممدوح الشرقاوي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

شبكة الألوكة

www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم أجمعين، اللهم افتح لنا أبواب حكمتك وانشر علينا من رحمتك وأمنن علينا بالحفظ والفهم، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا بنور الفهم وافتح علينا بمعرفة العلم، وحسن أخلاقنا بالحلم وسهل لنا أبواب فضلك، وانشر علينا من خزائن رحمتك يا أرحم الراحمين، إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، ثم أما بعد:

فإن الله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبيانا لكل شيء وجعله هدىٰ وبرهانا لهذه الأمة، ويسره للذكر والتلاوة والهداية بجميع أنواعها، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر:٤٠]، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩]، ولذلك فإن من أعظم ما يشغل الإنسان به جوارحه كتاب الله الكريم، من حفظه وتعلمه، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه، ليكون بذلك من أهل السعادة في الدارين.

ولذلك فإن من أعظم ما يشغل الإنسان به جوارحه كتاب الله الكريم ، من حفظه وتجويده وتدبر معانيه ، والعمل بما فيه ، ليكون بذلك من أهل السعادة في الدارين ، ولا نعلم حتىٰ الآن أمة من الأمم خدمت كتابها كما خدم القرآن الكريم فمن العلماء من اهتم بتجويده وتحقيق حروفه ، ومنهم من اهتم بتفسيره وبيان معانيه وأسباب نزوله ، ومنهم من اهتم بقراءاته وطرقه ورواياته ومنهم من اهتم ببيان عد آياته ورسمه وبيان وقوفه إلىٰ غير ذلك من علوم القرآن .

ومن أهم العلوم لفهم القرآن الكريم بل أهمها.. علم النحو ولغة العرب؛ وذلك أنه لا سبيلَ إلىٰ معرفة إعجاز القرآن العظيم، والوقوف علىٰ ذلك، إلا عن طريق معرفة لغة العرب، ومعرفةِ ما كان عليه العرب الذين نزل القرآنُ في زمنهم من الفصاحة والبيان، ومَن لم تكن له بذلك درايةٌ، ولا له عليه إقبالٌ، فشأنُه شأن الأعجمي الذي يعرِفُ الإعجاز في القرآن مِن عجز العرب الأقدمين عن الإتيان بمثله.

لذلك كان هذا المبحث المتواضع، نبين فيه أهمية الإعراب في فهم آيات القرآن الكريم، وفهم معانيه ، وأهمية ذلك في علم التفسير، مع بعض التطبيقات العملية علىٰ بعض الآيات القرآنية وكيف

أثر النحو في فهم وتدبر المعاني القرآنية.

سائلا المولىٰ تبارك وتعالىٰ أن يلهمنا الصواب وأن يرزقنا الإخلاص والقبول والسداد والهدىٰ والرشاد، فهو سبحانه و تعالىٰ نعم المولىٰ ونعم النصير.

كتبه أفقر العباد لعفو ربه الباري

أحمد بن ممدوح الشرقاوي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

** المبحث الأول **

التعريف بعلم النحو والإعراب

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان معنىٰ علم النحو والإعراب لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : اهتمام السلف بالعربية.

المطلب الأول : بيان معنىٰ علم النحو لغة واصطلاحا:

النحو لغة : القصد .

يقال : نحوت نحوك ، أي : قصدت قصدك ،ونحوت الشيء ، إذا أممته .

وهذا ما يُسْتَشَفُّ مِن كلام اللغويين؛ يقول ابن فارس: "النون والحاء والواو كلمةٌ تدل علىٰ قصد...، ولذلك سُمِّي نحو الكلام؛ لأنه يقصِد أصول الكلام، فيتكلم علىٰ حَسَبِ ما كان العرب تتكلم به"[1].

كما يدل عليه أيضًا كلام ابن منظور في لسان العرب؛ إذ ذهب إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله: "والنحو القصد، والطريق...، نحاه ينحوه وينحاه نحوًا، وانتحاه، ونحوُ العربية منه...، وهو في الأصل مصدر شائع؛ أي: نحوت نحوًا؛ كقولك: قصدت قصدًا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم"[2]، وفي المعجم الوسيط: "النحو: القصد، يقال: نحوتُ نحوه: قصدت قصده"[3].

وقد عد النحاة للنحو سبع معان، وقد ظمها الداودي شعرا بقوله:

للنحــو سبع معان قد أتت لغة * * جمعتها ضمن بيت مفـرد كملا

قصد ومثل ومقـدار وناحيـة * * نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا

النحو اصطلاحا : إن أقدم تعريفٍ اصطلاحيٍّ للنحو علىٰ الأرجح، هو تعريف ابن السراج، الذي يقول فيه:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (نحا).

(٢) لسان العرب، (نحو).

(٣) المعجم الوسيط، (نحا).

"النحو إنما أُرِيد به أن ينحو المتكلِّم إذا تعلَّمه كلامَ العرب، وهو علمٌ استخرجه المتقدِّمون فيه مِن استقراء كلام العرب، حتىٰ وقفوا منه علىٰ الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة"[٤].

وعرَّفه ابن جني بقوله:

"هو انتحاءُ سَمْتِ كلام العرب في تصرُّفه؛ من إعراب وغيره؛ كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنَّسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق مَن ليس مِن أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنها، رُد به إليها"[٥].

والإعراب هو: تغيير أحوال أواخر الكلم؛ أي: تحوُّلها من الرفع إلىٰ النصب أو الجر أو الجزم.

ومثال ذلك كلمة (محمد):

قال تعالىٰ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، بالرفع.

وقال سبحانه: ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾ [محمد: ٢]، بالجر.

وفي الأذان يقول المؤذِّن: أشهد أن محمدًا رسول الله، بالنصب.

ففي هذه الأمثلة الثلاثة تغيَّر حال آخر كلمة (محمد) (الدال) من الرفع بالضمة، إلىٰ النصب بالفتحة، إلىٰ الجر بالكسرة، وهذا هو الإعراب.

ويخرُج بقولنا في تعريف الإعراب: "هو تغيير أحوال أواخر الكلم": ما إذا كان التغيير في أول حرف من حروف الكلمة، أو في الحروف الوسطىٰ من الكلمة، فإن هذا لا يُسمَّىٰ إعرابًا.

ومثال ذلك: الفعل (قال)، فإنه يقال فيه عند بنائه للمجهول: (قيل)، فتتغير حركة أوله (القاف) من الفتحة إلىٰ الكسرة، وكذا يتغير أوسطه من كونه ألفًا إلىٰ كونه ياءً، بينما آخر حرف فيه (اللام) لم يحدُثْ فيه تغيير، فهو مفتوح في الحالينِ؛ ولذا لم يكن هذا إعرابًا.

---

(٤) الأصول في النحو: ١/٣٦.

(٥) الخصائص: ١/٣٤.

المطلب الثاني : اهتمام السلف بالعربية:

لا يَصِل إنسان إلىٰ فَهْم هذا الدين فهمًا صحيحًا إلا عن طريق هذه اللغة الغراء، ومن القواعد الفقهية "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، وفَهْم الدين لا يكون إلا باللغة العربية؛ لذا فتعلُّمها واجب علىٰ كل مسلم.

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يأمر أصحابه أن يتعلَّموا العربية، كما كان يأمرهم أن يتعلَّموا الفرائض، فكان يقول: "تعلَّموا العربية؛ فإنها من دينكم، تعلَّموا الفرائض؛ فإنها من دينكم"، فقدَّم – رضي الله عنه – تعلُّم العربية علىٰ تعلُّم الفرائض، لما يعلمه لها من فضل في معرفة الدين والفقه.

كما روي عنه أنه مرَّ علىٰ قوم يرمون نبلاً فعاب عليهم، فقال أحدهم: يا أمير المؤمنين، "إنا قوم متعلمين" – والصحيح، مُتعلِّمون فقال: لحْنكم أشد عليَّ من سوء رميكم، سمعت رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – يقول: ((رحِم الله امرأ أصلح من لسانه)) [٦].

وكان الحسن بن أبي الحسن – من التابعين – إذا عثَر لسانه بشيء من اللحن، قال: أستغفر الله، فسئل في ذلك، فقال: مَن أخطأ فيها – أي في العربية – فقد كذب علىٰ العرب، ومن كذب فقد عمل سوءًا، والله – عز وجل – يقول: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

وكان الفراء يُفضل النحو علىٰ الفقه، وروي عنه أنه زار محمد بن الحسن، فتذاكرا في الفقه والنحو، ففضَّل الفراء النحو علىٰ الفقه، وفضَّل محمد بن الحسن الفقه علىٰ النحو، فبدأ الفراء يُدلِّل علىٰ صحة قوله، فقال: قَلَّ رجل أنعم النظر في العربية، وأراد علمًا غيره إلا سَهُل عليه.

فأراد محمد بن الحسن أن يُبطِل حجَّتَه، فقال له: يا أبا زكريا، قد أنعمت النظر في العربية، وأسألك عن باب من الفقه، فقال الفراء: هات علىٰ بركة الله، فقال ابن الحسن: ما تقول في رجل صلىٰ فسها في صلاته، وسجد سجدتي السهو، فسها فيهما؟ فتفكَّر الفراء ساعة، ثم قال: لا شيء عليه، فقال له محمد: ولِمَ؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير، وإنما سجدتا السهو تمام

(٦) اتفاق المباني ص١٣٧.

الصلاة، وليس للتمام تمام، فقال محمد بن الحسن: ما ظننتُ أن آدميًّا يَلِد مثلك[٧].

وكان الإمام الشافعي يتكلَّم عن البدع، فسئل عن كثرتها في زمانه، فقال "لبُعْدْ الناس عن العربية".

وقد عدَّ الإمام ابن تيميَّة تعلُّم اللغة العربية من الفروض الواجبة، فقال: "إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فَهْم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهَم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[٨].

وأما الإمام ابن حزم، فقد ألزم من أراد أن يتعلَّم الفقه تعلُّم النحو واللغة، فقال "لزم لمن طلب الفقه أن يتعلَّم النحو واللغة، وإلا فهو ناقص مُنحط لا تجوز له الفُتيا في دين الله – عز وجل"[٩].

بل إن أبا عمرو بن العلاء كان يقول: "لَعِلمُ العربية هو الدين بعينه، فبلغ ذلك عبدالله بن المبارك، فقال: صدق؛ لأني رأيت النصارىٰ قد عبدوا المسيح لجِهْلهم بذلك، قال الله – تعالىٰ – في الإنجيل: ((أنا ولَّدتك من مريم، وأنت نَبِيي))، فحسبوه يقول: أنا ولَدتك، وأنت بُنَيي، بتخفيف اللام، وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة، فكفَروا"[١٠].

(٧) معجم الأدباء،١: ١٧.

(٨) اقتضاء الصراط، ١: ٤٢٤.

(٩) الإحكام،١: ٢٠٨.

(١٠) معجم الأدباء، ١: ١٠

** المبحث الثاني **

أهمية الإعراب في فهم القرآن

وفيه مطالبان :

المطلب الأول : أهمية الإعراب في فهم القرآن.

المطلب الثاني : أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن .

المطلب الثالث: نماذج من الخلاف في الإعراب وأثره في المعنىٰ القرآني:

المطلب الأول : أهمية الإعراب في فهم القرآن:

كان العربُ يستعمِلون لسانَهم عن سليقةٍ لم يحتاجوا معها أن يُبينوا قواعدَ نظمِه، وبعد مجيء الإسلام ومخالطتِهم الأعاجمَ مالت ألسنتُهم إلىٰ اللحن، والخروج عن أصول الكلام التي ورِثوها عن أسلافهم، فتسرَّب اللحن إلىٰ لسانهم!

قال الأستاذ أحمد بن نسيم بن سوسة: "الواقع أنه يتعذَّر علىٰ المرء الذي لم يُتقِن اللغة العربية، ولم يضطلع بآدابها، أن يُدرِك مكانة هذا الفرقان الإلهي وسُموِّه، وما يتضمنه من المعجزات الباهرة"؛ اهـ.

ألم ترَ أن البدويَّ راعيَ الغنم كان يسمع القرآن فيخرُّ له ساجدًا؛ لِمَا عنده من رقة الإحساس ولطف الشعور؟

وذلك أنه ورد أن أعرابيًّا سمع رجلًا يقرأ: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فما كان من الأعرابي إلا أنْ سجد، وقال: سجدتُ لفصاحة هذا الكلام.

فضبط الكلمات بشكلها الصحيح يصل القارئ لمعرفة معاني الآيات؛ لأن الإعراب يميز المعاني ففي بعض المواضع قد يتعدد معنىٰ الكلمة، وقد يؤدي تعدد معناها إلىٰ تعدد الإعراب.

قال الإمام مكي بن أبي طالب:" "ورأيت من أعظم ما يجب علىٰ طالب علوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج، معرفة إعرابه والوقوف علىٰ تصرُّف حركاته وسواكنه؛ ليكون بذلك سالما من اللحن فيه، مستعينًا علىٰ إحكام اللفظ به، مطلعًا علىٰ المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهمًا لما أراد الله تبارك وتعالىٰ به من عباده؛ إذ بمعرفة حقائق الإعراب تُعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويُفْهَم

الخطاب، وتصحُّ معرفة حقيقة المراد"[١١].

من الأمثلة علىٰ ماسبق:

المثال الأول: في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّه فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠]، فهاء الضمير في كلمة عليه جاءت مضمومة،والأصل في هاء الغائب البناء علىٰ الضم، لكن إذا وقعت بعد ياء أو كسر تبنىٰ علىٰ الكسر؛وسبب ضمها هنا لتقوية المعنىٰ وذلك كالتالي :

أولًا: لأن الضمة أثقل الحركات للدلالة علىٰ ثقل العهد الذي أخذه الإنسان علىٰ نفسه مع الله ؛لأن الوفاء بالعهد مع الله أمر فيه ثقل ويحتاج مجاهدة للنفس .

ثانيا: أن الضم في عليهُ يؤدي إلىٰ تفخيم لفظ الجلالة حتىٰ لايرقق بالكسر.

المثال الثاني : في الأثر الذي أخرجه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء"، وابن عساكر ، في "تاريخه" عن ابن أبي مليكة قال : قدم أعرابي في زمان عمر فقال : من يقرئني مما أنزل الله علىٰ محمد؟ فأقراه رجل "براءة"، فقال : أن الله بريء من المشركين ورسولِه . بالجر، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسولِه؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه .

فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال : يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟! قال : يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت : من يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة "براءة"، فقال : أن الله بريء من المشركين ورسولِه، فقلت : أو قد برئ الله من رسوله؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه .

فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي . قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال : أن الله بريء من المشركين ورسولُه فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما ما برئ الله ورسوله منه .

فأمر عمر بن الخطاب ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو[١٢].

فتأمل في اختلاف الحركة من الضم إلىٰ الكسر ، وما فهمه الأعرابي من الآيات!!..

(١١) مشكل إعراب القرآن ٦٣/١

(١٢) الدر المنثور، ٢٤١/٧.

المطلب الثاني : أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن :

إن الاختلاف في الإعراب له أثره في تعدد معاني التفسير، فتتعدد المواقع الإعرابية يقوم مقام تعدد الآيات وهذا ضرباً من أنواع البلاغة وكماوقع علم الإعراب في اختلاف كغيره من العلوم، كان لابد من ظهور هذا الاختلاف عند إعراب القرآن الكريم الذي كان له أثر لتعدد المعاني لتركيب الواحد ومن ثم تعدد المعاني التفسيرية للآية الواحدة.

و ترك الإعراب للتفسير هدم للغة وإماتتها، فاللغة تعتمد علىٰ الحركات الإعرابية، "لأن المعنىٰ يتغير ويختلف بإختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره، أخرج أبو عبيده عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقم بها قرائته، فقال: حسن فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها".

وإن في ترك الحركات الإعرابية إلباساً لكثير من الجمل وضياع معانيها، ولا يفهم النص إلا بفهم الإعراب،فالإختلاف في الإعراب لآيات القران الكريم، يؤدي إلىٰ تعدد المعاني الناجمة عن اختلافهم، وبالتالي قد تتعدد الأحكام تبعاً لذلك، فقد قال الدكتور تمام حسان: " فقد نشأة دراسة اللغة العربية الفصحىٰ علاجاً لظاهره كان يخشىٰ منها علىٰ اللغة وعلىٰ القرآن وهي التي سموها اللحن، وعلىٰ الرغم من إن تسمية هذه الظاهرة المذكوره لا تشير إلا إلىٰ الخطأ في ضبط أواخر الكلمات بعدم أعطائها العلامة الإعرابية الملائمة"[١٣].

فقد تقوم العلامة الإعرابية بوظيفة الدلالية والنحوية، فقد اختلف النحويون كثيراً في إعراب آيات القرآن الكريم مما أدىٰ إلىٰ تعدد المعاني.

وقد عد الإمام ابن قتيبة من أوجه اختلاف القراءات القرآنية، الاختلاف في أوجه الإعراب فقال:" وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: اختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها.

الوجه الثاني: أن يكون الإختلاف في إعراب الكلمة وحركات بناءها بما يغير معناه، ولا يزيلها

(١٣)اللغة العربية معناها ومبناها ص:١١.

عن صورتها في الكتاب: نحو قوله تعالىٰ(ربنا باعد بين أسفارنا)، وباعد الأولىٰ بكسر العين والثانية بفتحها [١٤].

المطلب الثالث: نماذج من الخلاف في الإعراب وأثره في المعنىٰ القرآني:

يرتبط علم الإعراب بتفسير القرآن الكريم ارتباطًا كبيراً، لفهم آيات الله فهمًا سليمًا، وبذلك يزيل اللبس بهذا العلم، وبغير هذا العلم يبقىٰ في الآيات لبسًا قد لا يعرف مراد الآية أو الحكمة منها تضييع، فقد يكون اختلاف النحاة اختلاف في القراءات وهذا ليس تناقض للآيات، فيجب علىٰ الإنسان أن يفهم قواعد الإعراب حتىٰ لا يقع في الخطأ.

وتطبيقًا علىٰ القرآن الكريم فقد اختلف النحويون كثيرًا في إعراب آياته مما أدىٰ إلىٰ تعدد المعاني الناجمة عن اختلافاتهم تلك، وقد أرجع الأستاذ عبد الخالق عضيمة الاختلاف في الإعراب إلىٰ سببين:

الأول: أسلوب القرآن المعجز، بحيث لا يستطيع أحد الإحاطة بجميع مراميه وأهدافه، فاحتمل كثيراً من المعاني والوجوه.

الثاني: إن النحويين لا يعرفون الحجر علىٰ الآراء، ولا تقديس آراء الغير، فاحتفظوا لأنفسهم بحرية الرأي والتعبير.

وتطبيقا علىٰ بعض الآيات نذكر بعض الأمثلة ومنها :

المثال الأول:

في قوله تعالىٰ:﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة:٦]حيث قرئ ((وَأَرْجُلَكُمْ)) بالنصب عطفًا علىٰ ((وُجُوهَكُمْ)) وهيٰ تقتضيٰ غسل الأرجل ، لعطفها علىٰ مغسول وهيٰ الوجوه.

وقرئ ((وَأَرْجُلِكُمْ)) بالجر عطفًا علىٰ ((رُءُوسِكُمْ)) وهذه القراءة تقتضيٰ مسح الأرجل ، لعطفها علىٰ ممسوح وهو الرءوس. وفيٰ ذلك إقرار لحكم المسح علىٰ الخفين.

(١٤) تأويل مشكل القرآن، ص٣٦.

المثال الثاني:

في قوله تعالىٰ: ﴿ رَبُّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[سورة سبأ:١٩] ،و﴿ رَبَّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾.

الكلمتان: ((رَبّنَا)) و((بَاعِد)) ، فيهما قراءتان:

الأولىٰ: قراءة يعقوب برفع باء ((رَبُّنَا))، وبإثبات الألف بعد باء ((بَاعد)) مع فتح العين مخففة وفتح الدال، أي: ((رَبُّنَا بَاعَدَ)).

و((رَبُّنَا بَاعَدَ)) علىٰ أنَّها جملة اسمية، والخبر فيها الجملة الفعلية ((بَاعَدَ))، وهذا الخبر صادر من القائلين علىٰ أنه شكوىٰ لبعد أسفارهم؛ وذلك إفراطًا منهم في الترف، وعدم شكر الله تعالىٰ علىٰ ما أنعم به عليهم.

الثانية: قراءة الباقين بنصب باء ((رَبَّنَا)) وإثبات الألف بعد باء ((بَاعِدَ)) مع كسر العين مخففة وإسكان الدال، أي: ((رَبَّنَا بَاعِد)).

و((رَبَّنَا بَاعِد))، حيث نصب ((رَبَّنَا)) علىٰ النداء، والفعل ((بَاعِد)) علىٰ أنه فعل دعاء وطلب من الله تعالىٰ أن يباعد بين أسفارهم. و((بَيْن)) مفعول به وليست ظرفًا.

المثال الثالث:

جاءت قراءتان في كلمة ((خالصة)) في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٢] .

الأولىٰ: بالرفع وهي قراءة نافع المدني ، أي: ((خَالِصَةٌ))، وحجة من قرأ بالرفع جعلها خبرا للمبتدأ ((هي))، وتكون ((للذين آمنوا)) تأكيدا وتثبيتًا للخلوص.

ومنهم من جعل ((خالصةٌ)) خبرا آخر، أي بعد الخبر الأول ((للذين آمنوا))، وعليه فإن معنىٰ قراءة الرفع: أن هذه الزينة والطيبات تخلص للمؤمنين في الآخرة، وإن شاركهم فيها الكافرون في الدنيا.

الثانية: بالنصب وهي قراءة الباقين، أي: ((خَالِصَةً))، وحجة من قرأ بالنصب جعلها حالاً والمعنىٰ: هي ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها لهم يوم القيامة.

المثال الرابع:

وقد تحتمل الكلمة القرآنية لأكثر من وجه إعرابي، وإن لم تتغير علامتها الإعرابية ومن ذلك :

قوله تعالىٰ: ﴿لَا يسَمَعوُن فَيِهاَ لغَوْاً إلِّا سَلاماً ولَهَمْ رِزْقُهُمْ فِيْهاَ بُكـرْةً وَعَشِيا﴾[مريم:٦٢].

فقد اختلف النحاة في إعراب كلمة ((سَلامَا)) ودار خلافهم فيها علىٰ ثلاثة أقوال:

الأول: النصب علىٰ الاستثناء المنقطع، أي: إن ما بعد حرف الاستثناء يكون من غير جنس المستثنىٰ منه، ويكون المعنىٰ علىٰ هذا الإعراب أن السلام ليس من جنس اللغو؛ بل يقصد به سلام المؤمنين بعضهم علىٰ بعض، أو سلام الملائكة عليهم، أو تسليم الله عليهم.

الثاني: البدل من اللغو، ولا يجوز اعتبار هذا الرأي؛ لأنه لا يمكن أن يكون السلام من اللغو.

الثالث: النصب علىٰ الاستثناء المتصل، أي إن ما بعد حرف الاستثناء يكون من جنس المستثنىٰ منه، ولكنه هنا استثناء متصل بطريق التعليق بالمُحال، والمعنىٰ أن المؤمنين لا يسمعون أي لغوٍ ما إلا سلاما، فكما استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم لهذا اللغو بالكلية[١٥].

المثال الخامس:

قوله تعالىٰ: ﴿ ذلَكِ ومَنْ يُعَظِّمْ حْرُمَاتِ الله فَهَوُ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبَهِّ وَأُحِلَّتْ لَكـُمُ الأَنْعَامُ إلِّا مَا يُتْلَى عَلَيْكـُمْ فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ واجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾[الحج:٣٠] .

اختلف النحاة في إعراب اسم الإشارة ((ذلك)) علىٰ أربعة أقوال:

الأول: اسم الإشارة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الأمرُ ذلك، أو: الواجب ذلك، أو: الفرض ذلك.

الثاني: اسم الإشارة في محل رفع مبتدأ، والمعنىٰ: ذلك الأمرُ، فالخبر محذوف، والله تعالىٰ يشير إلىٰ ما فرضه علىٰ المؤمنين من قضاء التفث والوفاء بالنذور.

نلاحظ أن الفرق بين الخلاف الأول والثاني والفرق بين المعنيين فرق في درجة التأكيد، فلا يقدم الخبرعلىٰ المبتدأ إلا لغاية في المعنىٰ،ولا يقصد بالرأي الثاني سوىٰ الإخبار في فرض الحج وواجباته، أما في الرأي الأول ففيه توكيد وتركيز علىٰ الفرض، فكأن فيه توكيد خطاب الأمر، ولذلك رأىٰ بعضهم الأمر في هذه الآية.

---

(١٥)مشكل إعراب القرآن، القيسي ١/١٣.

الثالث: اسم الإشارة في محل نصب مفعول به، والمعنىٰ: اتبعوا أو امتثلوا ذلك من أمر الله تعالىٰ باتباع ما سبق ذكره من واجبات الحج.

الرابع: اسم الإشارة في محل جر صفة للبيت العتيق، وهذا في قوله تعالىٰ: وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم، أي: "وليطوفوا بالبيت "المشار إليه.

وقد ذهب الزمخشري أن اسم الإشارة هنا جيء به لربط الكلام أي بذلك أداة لاستمرار المتُكلِّم بكلامه، فهو أداة للفصل بين جملتين يلجأ المتكلِّم إليها عندما يريد الانتقال بها من معنىٰ إلىٰ آخر ، ولعل هذا هو الظاهر، والله أعلم.[١٦] .

ويظهر لنا من خلال المثالين الأخيرين كيف اختلف المعنىٰ وبدا واضحًا جليًّا بناء علىٰ اختلاف الإعراب.

المثال السادس:

قوله تعالىٰ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة:٦-٧] .

وقد اختلف النحاة في إعراب كلمة ((غير)) إلىٰ أكثر من وجه:

الأول: الجر علىٰ البدل من ((الذين)) أو من الضمير في ((عليهم)).

الثاني: الجر علىٰ الصفة لـ: ((الذين)).

وعلىٰ ذلك فهناك معنيان:

المعنىٰ الأول: أفاد أن المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هم أنفسهم الذين قد سلموا مما يسبب غضب الله تعالىٰ من الكفر والفساد في الأرض كما فعل اليهود، وسلموا أيضا من الضلال الذي وقع فيه النصارىٰ، فعبد هؤلاء ربهم حق العبادة.

وقال الطبري في توجيه المعنىٰ علىٰ هذا الإعراب: وإذا وُجِّهَ إلَىٰ ذلك –يعني البدل– كانت (غير) مخفوضة بنية تكرير "الصراط" الذي خُفض «الذين عليها، فكأنك قلت: صراطَ الذين أنعمت عليهم، صراطَ غير المغضوب عليهم».

المعنىٰ الثاني: أفاد أن هؤلاء المنعم عليهم من الله تعالىٰ بنعمٍ عديدة، منها ما هو وارد في الآية

(١٦)الكشاف، الزمخشري ٦٩/١، ٧١.

من نعمة الإيمان والهداية، وكذلك نعمة السلامة من غضب الله تعالىٰ؛ فكأن هؤلاء قد جمعوا بين نعمتي الإيمان المطلق والسلامة من الغضب والضلال،وهذه في حقيقتها نعمة عظيمة جليلة.

وعليه فإن المؤمن لما سأل الله تعالىٰ أن يهديه الصراط المستقيم، بَيَّن أنَّه الصراط الذي أنعم الله تعالىٰ به علىٰ النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وفي هذا مبالغة منه في طلب الهداية إلىٰ ذلك الطريق المستقيم، طريق الحق الذي يوصل إلىٰ رضا الله.

وقد رجح كل من أبي السعود وأبي حيان كون ((غير)) مجرورة علىٰ الصفة، وعدا القول الأول مرجوحًا؛ وذلك لأن البدل من شأنه أن يفيد متبوعه المبدل منه مزيدًا من التأكيد والتقرير، ومزيداً من الإيضاح والبيان، وليس هو كذلك هنا، فهما يرجحان جر ((غير)) علىٰ الصفة.

خلاصة البحث

يرتبط علم الإعراب بتفسير كلام الله العظيم ارتباطًا وثيقًا، لما له من أثر بالغ في بيان مراد الله تعالىٰ، وفهم آياته فهمًا سليمًا، وإزالة اللبس والإشكال عنها، وبدون هذا العلم يبقىٰ المفسر فاقدًا لأداة مهمة من أدوات التفسير.

وقد نتج عن هذا الاختلاف في القراءات أنه اختلاف تنوع في المعاني والدلالات؛ فهو اختلاف تنوع وليس اختلاف تناقض أو تضاد، وهذا مما يثري المعاني التفسيرية، ويفتح آفاقًا في ميدان التفسير.

والقرآن الكريم هو آية في البلاغة والفصاحة، فيه من الأسرار والروائع الباهرة والجليلة في ألفاظه وتراكيبه، وما علينا إلا أن نقف عليها ونتذوقها بحس نحوي، وننهل من معين هذا الصافي، ونرتشف من رحيقه؛ فإن تفسير آياته وتحليلها وفهم معانيها يحتاج إلىٰ فهمٍ واعٍ وجاد لعلم الإعراب.

لذا أوصي طلبة العلم بالإقبال علىٰ تعلم الإعراب وفهم قواعده وأصوله، والاهتمام به، وتطبيقه لإبراز دوره في تفسير القرآن الكريم.

كما أوجه عناية المشتغلين بعلم التفسير إلىٰ ضرورة الاستفادة من علم الإعراب، وألاّ يمروا مر الكرام علىٰ المواضع التي تتعدد فيها الأعاريب؛ بل عليهم أن يبحثوا عن سبب اختلاف النحاة في إعراب الكلمة القرآنية، فهي كلمات نورانية مشعة، وإظهار ما يضيفه كل إعراب من معنىٰ جديد.

وما كان ليتسنّىٰ لنا أن نفهم معاني القرآن المبين، ولا أن ندرك مواطن جماله، ومحالّ بلاغته، وإعجازه، وسائر أوامره ونواهيه، ومصادر أحكامه في حلاله وحرامه، وآيات وعده ووعيده. فما أحرانا إذن بإتقان الإعراب، لنكشف عن غوامض لغتنا، وكنوز قرآننا العظيم.

الخاتمة

هذا ما تيسر لي جمعه في بيان دور إعراب القرآن الكريم أهميته وأثره في التفسير، وأسأل الله تعالىٰ أن يتقبل منا هذا العمل وأن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأسأله سبحانه وتعالىٰ مزيدا من التوفيق والسداد ،وأسأله القبول فهو سبحانه وتعالىٰ نعم المولىٰ ونعم النصير .

والحمد لله أولا وآخرا ، وظاهرا وباطنا ، فهو سبحانه وتعالىٰ المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلىٰ الله علىٰ النبي محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

أحمد بن ممدوح الشرقاوي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

Alsharkawi50@yahoo.com

المراجع

م	المرجع	المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	تفسير الكشاف	الزمخشري
٣	تفسير التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور
٤	جامع البيان فى تاويل القرآن	ابن جرير الطبرى
٥	الدر المنثور في التفسير المأثور	السيوطي
٦	تأويل مشكل القرآن	ابن قتيبة
٧	اتفاق المباني وافتراق المعاني	سليمان بن بنين الدقيقي
٨	كتاب الخصائص	ابن جني
٩	مدخل إلى علم القراءات	شعبان محمد إسماعيل
١٠	محاضرة أهمية علم القراءات	إيهاب فكري
١١	مجموع الفتاوى	ابن تيمية
١٢	مشكل إعراب القرآن	مكي بن أبي طالب القيسي
١٣	أثر اختلاف الإعراب في تحديد المعاني	د/ عبد القادر بوزياني
١٤	أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم	د/ أمجد وفيق أبو مطر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣- ٤
المبحث الأول : التعريف بعلم النحو والإعراب	٥
المطلب الأول : بيان معنىٰ علم النحو والإعراب لغة واصطلاحا	٥-٦
المطلب الثاني : اهتمام السلف بالعربية	٧-٨
المبحث الثاني : أهمية الإعراب في فهم القرآن	٩
المطلب الأول : أهمية الإعراب في فهم القرآن	٩-١٠
المطلب الثاني : أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن	١١-١٢
المطلب الثالث: نماذج من الخلاف في الإعراب وأثره في المعنىٰ القرآني	١٢-١٦
خلاصة البحث	١٧
الخاتمة	١٨
المراجع	١٩
الفهرس	٢٠